



## من الألم إلى الأمل

د. سعود بن خالد

الإيمان بالغيب واليقين بلقاء الله عزوجل يجعل المؤمن يعيش حياة مطمئنة ، حتى الذكريات الأليمة تتحول إلى أمل جميل يتربّق المؤمن فيه ثواب الله تعالى له يوم القيمة على صبره ورضاه ، وهو سبحانه الذي وفقه لذلك .

ولا أعلم في الطب النفسي الغربي أو الطب المعرفي السلوكي ما يكون له مثل هذا الأثر ، الذي أعلمه أنه في بعض تطبيقاته يجعل الإنسان يعيّد تذكر تلك الذكريات ليواجهها ويتحطّها ، ولكنها تعود أحياناً للذاكرة لا إرادياً ، وقد سمعت مؤخراً بما يسمى "مفهوم النفس" أو "علم النفس الإسلامي" الذي يركز على الجانب الروحي كما يركز على الجانب النفسي ، ولا شك أن التركيز على تلك المعانى الإيمانية له أثره الجميل في العلاج المعرفي والشفاء بالنسبة للمؤمن ، فالأمر عند أهل الإيمان لا يتعلّق بالدنيا فقط ، وإنما الدنيا مزروعة للآخرة الأهم . { بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والآخرة خير وأبقى }

والجانب الإيماني وجانب الاحتساب واليقين بلقاء الله في الآخرة يحول الألم إلى أمل ، فإذا واجه المؤمن موقفاً شديداً ووفقاً الله تعالى فيه للصبر والرضا ثم تخطّاه ، كلما تذكر ذلك الموقف بعد ذلك يشتق إلى معرفة ثواب صبره ورضاه يوم القيمة ، فلو عادت الذكري مرات عديدة فإنّها لا تضره ، بل بهذه المفهوم الإيماني العظيم كلما عادت به الذكري تجده يفرح ويستبشر بدلاً من أن يحزن ويتألم .

وقد قيل والله أعلم أن من أسباب تفضيل فاطمة بنتنا صلى الله عليه وسلم على أخواتها ، أن بنات النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا في حياتهم عليه الصلاة والسلام إلا فاطمة ، فكانوا في ميزان حسنات نبينا صبره واحتسابه ، أما فاطمة فقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم في ميزانها بصرها على مصيبة فقده واحتسابها ، فكان لها ذلك الفضل العظيم .

وبهذا المنظور نفهم قول أحد السلف:  
"لولا مصائب الدنيا لوردنا القيمة مفالييس".

فتذكر دائماً أيها المبارك الآخرة ولقاء الله تعالى ، واصبر واحتسب ليتحول في حياتك الألم إلى أمل .

د/ سعود بن خالد